

رِسَالَةٌ

إِلَى أَهْلِ الثَّغَرِ بَيْنَ الْأَشْعَرِيِّ وَتِلْمِيزِهِ الْبَصْرِيِّ

التوصيف:

مقال تاريخي نقدي استقرائي

إعداد:

مصطفى شيخ إبراهيم طاهر الصومالي

Musdafsheekh@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١- خلفية البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن علماء المسلمين - لا سيما المكثرون منهم - تركوا لنا وللمكتبة الإسلامية والبشرية تراثاً ضخماً لم يعرف له مثيل في تاريخ الأمم والحضارات. ولضخامة المكتبة الإسلامية، وتأثير الغزوات الخارجية، وتقلُّب الأحوال السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي؛ فقد كثير من مصنفات العلماء وتوصياتهم تحت هذه الغزوات الخارجية والتقلبات الداخلية، فذهب بعضها بالكلية ولم يعثر عليها بعد، وهو - مع الأسف - جلّ تلك المصنفات، ووُجد بعضها ناقصاً أو محرّفاً لعبته الأيدي الآثمة؛ كما وجد بعضها مهملة لم تنسب إلى أيّ أحد، أو وُجدت منسوبة إلى غير أصحابها بقصد أو بغير قصد، أو أثّرت حولها الشكوك في صحة نسبتها إلى من نسبت إليه.

ومن تلك الرسائل التي أثّرت حولها الشكوك "رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب" المنسوبة لكل من أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) وتلميذه ابن مجاهد البصري (ت ٣٧٠هـ)؛ فكان من اللازم الوقوف على حقيقة هذا الأمر، وسلوك المسلك الصحيح في إثبات ذلك أو نفيه، مقتفياً في ذلك كله منهجاً علمياً.

وتحقيق نسبة الكتاب إلى كاتبه يعسر أحياناً، لا سيما عند اشتباه العناوين واتحاد أسماء المؤلفين وأعصارهم، فالمعول عليه عند هذا الاشتباه أن تعرض النسبة على فهارس المكتبات العلمية والمؤلفات الكتبية وكتب التراجم والطبقات؛ لنستمد منها اليقين بأن هذا الكتاب صحيح الانتساب إلى من نسب إليه؛ كما تعد الاعتبارات التاريخية من أقوى المقاييس في تصحيح نسبة الكتاب إلى المنسوب إليه أو تزيفه^(١).

(١) انظر تحقيق النصوص ونشرها لشيخ المحققين عبد السلام هارون.

وفي هذه العُجالة سأتناول الكشف عن حقيقة رسالة أرسلت إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المنسوبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري تارة، وتلميذه ابن مجاهد البصري المالكي تارة أخرى.

٢-تحقيق البحث

انطلاقاً من النقطة المتقدمة؛ فإن الغرض الأساسي من هذا البحث هو تحقيق مسألة واحدة، وهي صحة نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أو تلميذه ابن مجاهد البصري.

٣-أهمية البحث

إن أهمية هذا البحث، وتحقيق نسبة هذه الرسالة إلى صاحبها؛ تتجلى في أهمية موضوع الرسالة ومحتواها مع أهمية من نسبت إليه ومركزيته في بحث الفرق الإسلامية ومقالاتها؛ حيث تنتسب إلى من نسبت إليه واحدة من أكبر الفرق الإسلامية الضاربة في عمق التاريخ الإسلامي.

٤-أسماء هذه الرسالة

هذه الرسالة عبارة عن جواب سؤال لأهل الثغور والحصون بباب الأبواب، تتضمن جلّ معتقد السلف الصالح في مسائل أصول الدين، وتشتمل على واحد وخمسين إجماعاً لأهل السنة في مسائل الاعتقاد، وهي مطبوعة ومتداولة منسوبة - حتى الثن - إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - رحمه الله تعالى -.

وقد اختلف الناس في تسميتها، بناء على أنها لم تسم من قبل مؤلفها.

فسماها من نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:

-الرسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، سماها أبو القاسم ابن عساكر وغيره.

- الأصول الكبير، كما سماها الناسخ الهندي (أحمد سعيد)^(٢).
وسماها من نسب إلى أبي عبد الله ابن مجاهد البصري المالكي:
-الرسالة في عقود أهل السنة، سماها ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) في فهرسته.
-الاعتقادات على مذهب أهل السنة، سماها القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) في ترتيب المدارك، وتبعه غيره.
-رسالة فيما التمسه فقهاء أهل الثغر بباب الأبواب من شرح أصول مذهب التابعين للكتاب والسنة، سماها ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) في فهرسته.

٥-نسخ الرسالة

- أولها:** النسخة التركية بمكتبة ريفان كشك، وناسخها: علي بن محمد بن أحمد الحراني الحنبلي، عام ١٠٨٤هـ.
ثانيها: النسخة الهندية بمكتبة الجامعة العثمانية، وصورتها الجامعة الإسلامية، وناسخها أحمد سعيد بدون تاريخ^(٣).

٦-طباعات الرسالة

- طبعت هذه الرسالة عدة طباعات، من أشهرها:
-طبعة عمادة البحث العلمي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بدراسة وتحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدى المصري، عام ١٤١٣هـ. وحقق الرسالة - كرسالة ماجستير - في قسم العقيدة بكلية الدعوة عام ١٤٠٥هـ. ونشرتها أيضا: مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

(٢) ذكر ذلك محقق الرسالة المطبوعة عبد الله شاكر محمد الجنيدى في دراسة الرسالة.

(٣) انظر: دراسة محقق الرسالة المطبوعة عبد الله شاكر، (ص ٦٨).

- طبعة مؤسسة أبي عبيد للنشر والتوزيع، بتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

٧- سبب تأليف الرسالة

ألفت هذه الرسالة كما ذكرت في مقدمتها إجابة عن سؤال أرسلها فقهاء أهل الثغر بباب الأبواب^(٤)، يسألون عن الأصول التي عوّل عليها السلف في مسائل أصول الدين وبيان فساد مذاهب أهل البدع وانحرافهم عن جادة الصواب.

المسألة الأولى: توثيق نسبة الرسالة

اختلف الناس في توثيق نسبة هذه الرسالة إلى مصنفها على فريقين:

الأول: فريق نسبها إلى أبي الحسن الأشعري

وقد نسب هذه الرسالة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري عددٌ من أهل العلم، من أشهرهم:

١- الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي الشافعي (ت ٥٧١هـ) في تبين كذب

المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٢٨هـ) في عدد من كتبه،

كدرء التعارض والنقل، ومجموع الفتاوى، وبيان تلبيس الجهمية. ونقل الشيخ

عنها عدة نصوص تتوافق مع المطبوع.

٣- الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١هـ) في عدد من

كتبه، كالكافية الشافية (النونية) والصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة.

قال ابن القيم في نونته:

(٤) وباب الأبواب كانت إحدى الثغور المشهورة ببلاد القوقاز، على بحر طبرستان.

وكذا على الأشعري فإنه في كُتبه قد جاء بالتيان
من موجز وإبانة ومقالة ورسائل للثغر ذات بيان
وممن نسب إلى الأشعري أيضا: فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي، وذكر أنها
مخطوطة في مكتبة ريفان كشك التركية.

الثاني: فريق نسبها إلى ابن مجاهد البصري

وعدّ هذه الرسالة من تصنيف الأستاذ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، المشهور
بابن مجاهد البصري المالكي (ت ٣٧٠هـ)، تلميذ أبي الحسن الأشعري؛ فهو الذي رجحه
بعض الباحثين، كمحقق مراتب الإجماع لابن حزم محمد صلاح فتحي.

المسألة الثانية: مرجّحات صحة نسبة الرسالة إلى ابن مجاهد

كما تقدم في المسألة السابقة؛ فإن من نسب هذه الرسالة إلى ابن مجاهد البصري
انطلق من عدة مرجحات، من بينها:

أولاً: أن هذه الرسالة وردت بالأسانيد في عدة فهارس منسوبة إلى الأشعري، من
بينها: فهرس ابن عطية المالكي (ت ٥٤٢هـ) حيث قال فيه (ص ١٢٦): "كتاب الرسالة
في عقود أهل السنة لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد البصري، أخبرني
بها عن حاتم عن أبي بكر بن عزرة عن مؤلفها".

ووردت أيضا منسوبة إليه في فهرست ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ) حيث قال
فيها: (٣١٧/١): "رسالة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي
البصري فيما التمسه فقهاء أهل الثغر بباب الأبواب من شرح أصول مذاهب المتبعين
للكتاب والسنة". ثم سرد الإسناد الذي رواها عن مؤلفها.

ثانياً: أن الكبار من علماء المالكية نسبوها إليه كابن العربي (ت ٥٤٣هـ) والقاضي
عياض (ت ٥٤٤هـ)، حيث قال عياض أثناء ترجمته له في ترتيب المدارك وتقريب المسالك

(١٩٦/٦): "وله كتاب في أصول الفقه على مذهب مالك، ورسالته المشهورة في الاعتقادات على مذهب أهل السنة التي كتب بها إلى أهل باب الأبواب".

ثالثاً: أن في بعض كتب المالكية نصوصاً مقتبسة من هذه الرسالة تتوافق مع المطبوع. - وهذه من أقوى المرجّحات -.

ومما وقفت عليه موافقا للمطبوع: ما توارد عليه جلّ شارح كتاب الرسالة المشهورة في فقه المالكية لشيخ المذهب الفقيه ابن أبي زيد القيرواني المالكي، كابن الناجي التنوخي القيرواني (ت ٨٣٧هـ)، وشهاب الدين الفاسي الصوفي المعروف بزروق (ت ٨٩٩هـ)، وشهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (ت ١١٢٦هـ)، وذلك عند قول صاحب المتن: (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته).

ونقتصر بعبارة الشهاب زروق المالكي شارح الرسالة، حيث قال فيه (٤٢/١):
"وما ذكره الشيخ هنا نقل ابن مجاهد في إجماعاته ما هو أعظم منه، فقال: "وما أجمعوا على إطلاقه أنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه".
وهذا النص المتقدم هو نص عبارة رسالة أهل الثغر المطبوعة".

رابعاً: من مرجحات كون هذه الرسالة لابن مجاهد أيضاً أن ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) انتقد في مراتب الإجماع على بعض الإجماعات التي نقلها ابن مجاهد في رسالته، بناء على أن هذه الإجماعات من ضمن الرسالة التي نحوم حومها، فقال في مراتبه (ص ١٧٧):

"ورأيت بعض من ينسب نفسه للإمامة والكلام في الدين ونسب لذلك طوائفه من المسلمين فصولاً ذكر فيها الإجماع، فأتى بكلام لو سكت عنه لكان أسلم له في أخراه، بل^(٥) الخرس كان أسلم له، وهو ابن مجاهد البصري الطائي لا المقرئ، فإنه أتى فيما ادعى فيه من الإجماع أنهم أجمعوا على أن لا يخرج على أئمة الجور، فاستعظمت ذلك،

(٥) في بعض النسخ: "لعل الخرس".

ولعمري إنه عظيم أن يكون قد علم أن مخالف الإجماع كافر، فيلقي هذا إلى الناس، وقد علم أن أفاضل الصحابة وبقية الناس يوم الحرة خرجوا على يزيد بن معاوية، وأن ابن الزبير ومن اتبعه من خيار المسلمين خرجوا عليه أيضا، رضي الله عن الخارجين عليه ولعن قتلهم، وأن الحسن البصري وأكابر التابعين خرجوا على الحجاج بسيوفهم، أترى هؤلاء كفروا بالله، والله من كفرهم أحق بالكفر منهم، ولعمري لو كان اختلافا يخفى لعذرناه ولكنه إمام مشهور يعرفه أكثر العوام في الأسواق والمخدرات في خدورهن؛ لاشتهاره.....".

وهذا الإجماع الذي ذكره ابن حزم هو الإجماع الخامس والأربعون من الرسالة إلى أهل الثغر المطبوعة (ص ١٦٨).

المسألة الثالثة: توجيه الخطأ التاريخي في الرسالة

من الأمور التي انتقدت صحة نسبة هذه الرسالة إلى أبي الحسن الأشعري أو تلميذه ابن مجاهد أيضا إلى أنه ورد في مقدمتها أنها كتبت عام سبع وستين ومئتين، بينما أبو الحسن الأشعري ولد عام ستين ومئتين، ولا شك أنه لا يمكن كتابة هذه الرسالة في سن السابعة من عمره، ومن ذلك أصبح ضروريا توجيه هذا التاريخ. وقد سلك الباحثون في توجيه هذا الخطأ التاريخي إلى مسلكين - حسب ما وقفت عليه -:

المسلك الأول: ادعاء تحريف كتابة التاريخ، وأن الصواب عام سبع وتسعين ومئتين، وأن أبا الحسن الأشعري كتب هذه الرسالة قبل انتقاله من مذهب المعتزلة بوقت قليل، ولم يكن قد قطع صلته نهائيا بشيوخه المعتزلة^(٦).

(٦) انظر دراسة محقق الرسالة المطبوعة عبد الله شاكر محمد الجنيدي (ص ٦٤).

وهذا هو رأي المستشرق (آلار) ، ورده محقق الرسالة (عبد الله شاكر) ادعاءات آلار في الرسالة عموماً من أربعة أوجه، ذكرها في مقدمة تحقيقه للرسالة.

المسلك الثاني: أن التاريخ المذكور في هذه الرسالة من وضع أشعري متأخر، يخالف عقيدة شيخه التي كان عليها، أو من وضع معتزلي، أراد أن يموّه على الناس وينفي هذه العقيدة عن الأشعري.

وهذا هو رأي محقق الرسالة (عبد الله شاكر محمد الجنيدى). قلت: وادعاء الوضع من أشعري متأخر أو معتزلي هكذا بدون بينة معتبرة غير ناهض؛ لأمرين:

أولاً: لم نقف - حتى الآن - التاريخ الصحيح الذي كتبت هذه الرسالة حتى ندعي تغيير أشعري متأخر أو معتزلي، أو وضعه من عنده.

ثانياً: لا داعي لاختراع تاريخ مزيف للرسالة أو تحريفها؛ فهناك وسائل أسهل وأنجع لمن يريد تحريف هذه الرسالة أو نفيها عن أبي الحسن الأشعري، كتغيير محتوى الرسالة، أو نسبتها لغير الأشعري، أو إتلافها بالكلية.

والذي يظهر لي - والله أعلم - أن هذا التاريخ الوارد في الرسالة مجرد خطأ أو سبق قلم غير مقصود.

المسألة الرابعة: النتائج

تلخص مما سبق عدة أمور، كالتالي:

- ١- أن كلا من أبي الحسن الأشعري وتلميذه ابن مجاهد أرسل رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، يشرح لهم فيها مذاهب أهل السنة، وأن هذه الرسالة لم يضعها لها اسماً خاصاً، وإنما أخذ العلماء تسميتها بما فهموه من مضمونها، أو من الجهة التي أرسلت إليها (أهل الثغر بباب الأبواب)، ولأجل ذلك اختلفت تسميات الرسالة.

٢- أول من نسب رسالة أهل الثغر إلى أبي الحسن الأشعري — حسب علمي القاصر — هو الحافظ ابن عساكر في تبين كذب المفتري - وحسبك من ثبوتها له نسبة ابن عساكر له -، ولم ترد ضمن مؤلفات أبي الحسن الأشعري التي سردها أبو بكر بن فورك. ولولا نسبة ابن عساكر له؛ لأمكن التجرؤ على توهيم الناسب إليه، وأما نسبتها إلى ابن مجاهد فهي قديمة ومنقولة من جهات عدة كما اتضح لنا من المرجحات السابقة.

٣- أن الشيخ أبا العباس ابن تيمية وقف على هذه الرسالة منسوبة إلى أبي الحسن الأشعري، ونقل عنها عدة نصوص تتوافق مع المطبوع. وهو أول شخص رأيته نقل عنها بحروفها. وربما يعد هذا من أقوى الحجج على أن الرسالة المطبوعة لأبي الحسن لا لشخص آخر.

٤- أن المرجحات التي سبقت إلينا لا تعطينا دلالة قطعية في أن هذه الرسالة لابن مجاهد، وإنما غاية ما فيها التأكد من صحة نسبة هذه الرسالة لأبي الحسن الأشعري، وتجوز أن هذه الرسالة المتداولة يمكن أن تكون رسالة ابن مجاهد، وليست رسالة الأشعري.

٥- أن المرجحات التي مرت بنا تنقسم إلى قسمين: قسم يستأنس به في إثبات الرسالة لابن مجاهد فقط، - وهو الأكثر -، كاسم الرسالة، ووحدة الجهة التي أرسلت إليها؛ لإمكانية تعدد الطلب من أهل الثغر بباب الأبواب، وكان نقد ابن حزم في مراتبه على بعض المسائل التي وردت فيها؛ لأن هذه المسائل مما يشترك فيها جلّ أهل السنة والجماعة في معتقداتهم. وقسم آخر يرجح نسبة هذه الرسالة إلى ابن مجاهد، وهو النقل الذي ورد في شروح الرسالة لابن أبي زيد؛ فإنه يرجح لنا أن هذه الرسالة له؛ لأنها عبارة قليلة الاستخدام بذاتها وإن كان مضمونها موجودا في جل كتب أهل السنة عموما وكتب أبي الحسن خصوصا، ولأن عبارات الأشعري في إثبات صفة العلو في كتبه المعتمدة،

كالمقالات والإبانة تختلف عن هذه العبارة لفظاً وإن وافقتها معنى، لكن الحقيقة أنه لا يستغرب تأثير التلميذ بعبارات شيخه وألفاظه التي يستخدمها، وهذا مما يضعف الترجيح بهذه النقطة فقط.

المسألة الخامسة: الخاتمة والخلاصة

١- الخاتمة

والحاصل أن التمييز بين هاتين الرسالتين فيه نوع من الصعوبة؛ لكون ابن مجاهد من أشهر تلامذة أبي الحسن ومن المتأثرين به، فلا يستغرب التشابه في المسائل الأصولية لفظاً ومعنى، والكشف عن حقيقة هاتين الرسالتين والتمييز بينهما ربما يتوقف على عدة أمور:

- وقوف نسخة رسالة ابن مجاهد والمقارنة بينها وبين المنسوبة لأبي الحسن الأشعري.
- اطلاع مزيد من النصوص المقتبسة من هاتين الرسالتين، لا سيما مقتصات رسالة ابن مجاهد إن وجدت.
- توضيح العلماء المحققين والمختصين بفن التحقيق وتوثيق الكتب بما يزيل الغبار عنهما.

٢- الخلاصة

لا زال قلب الفقير إلى رحمة ربه القدير -على مضض- يميل إلى أن الرسالة المطبوعة للشيخ أبي الحسن الأشعري، وأنه يمكن الإجابة عن كل ما أثير حولها من الشبه والشكوك كالتاريخ الوارد في بدايتها - كما أسلفت -، ومشاركة تلميذه ابن مجاهد في الموضوع.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

سبحانك ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله وسلّم على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين،
وصحبه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم الفراغ من كتابة هذا المقال ومراجعته بعد العشاء ليلة الأحد السابع من شهر صفر، عام
١٤٤٤ هـ، الموافق: الثالث من سبتمبر، عام ٢٠٢٢ م، بمدينة بكاسي، جاوى الغربية، إندونيسيا.

وأصل المقال مأخوذ من التعليقات التي علقتها على منظومة تعريف الخلف بمصنفات اعتقاد السلف،
مع إضافات وترتيب.



محتوى الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
١- خلفية البحث	٢
٢- تحقيق البحث	٣
٣- أهمية البحث	٣
٤- أسماء هذه الرسالة	٣
٥- نسخ الرسالة	٤
٦- طبعات الرسالة	٤
٧- سبب تأليف الرسالة	٥
المسألة الأولى: توثيق نسبة الرسالة	٥
المسألة الثانية: مرجّحات صحة نسبة الرسالة إلى ابن مجاهد	٦
المسألة الثالثة: توجيه الخطأ التاريخي في الرسالة	٨
المسألة الرابعة: النتائج	٩
المسألة الخامسة: الخاتمة والخلاصة	١١
١- الخاتمة	١١
٢- الخلاصة	١١